في اليوم العالمي للغة العربية: تعـــريب الطب

رؤية جديدة.. لقضية تتعلق باللغة العربية

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSherbinyPsyArabisation.pdf

بقلم : د. لطفي الشربيني
استشاري الطب النفسي

في البداية فأننا نلاحظ أن اللغـــة بصفة عامة هي وسيلة التفاهم فيما بين البشر وهي أيضا أسلوب للتعارف يتصل بالأمور الثقافية لكل مجتمع بما يحقق الاحتياجات التي تتطلبها عملية التربية والتعليم بالاضافة الى التواصل الثقافي والحضاري مع خصوصية كل مجموعة تعيش في مجتمع واحد وتستخدم لغة واحدة تكون أداة هامة للربط بين الأفراد والجماعات.

اللغـــة بصفة عامة هي وسيلة التفاهم فيما بين البشر وهي أيضا أسلوب للتعارف يتصل بالأمور الثقافية لكل مجتمع

وفي اليوم العالمي للغة العربية.. نتناول هذه القضية المتعلقة باللغة العربية واستخدامها في التعليم الطبي , و ذلك لتوجيه الاهتمام لهذا الموضوع الذي يرتبط بامور تؤثر في حاضر ومستقبل الطب والاطباء العرب في كل مكان ..بل ربما بنطاق اكبر كثيرا له ابعاد صحية واجتماعية ونفسية وقومية ايضا ..وقد تابعت باهتمام موضوعات منشورة في الصحف يحمل كل منها وجهه نظر متناقضة مع الأخر حول تعريب الطب بعضها كانت وجهه نظر كاتبه صريحة ضد فكرة التعريب بل انه وصف تعريب الطب بأنه كارثة أو نكبة، أما الآخر فقد كان ضد الرأي السابق تماما ويبدي حماسا للتعريب ويسوق الأدلة على أهميته. .. وهنا اقدم بعض الملاحظات ورؤية لمسألة تعريب الطب عموما..وتعريب الطب النفسي خاصة..

في اليوم العالمي للغة العربية.. نتناول هذه القضية المتعلقة باللغة العربية واستخدامها في التعليم الطبي

هنا اقدم بعض الملاحظات ورؤية لمسألة تعريب الطب عموما..وتعريب الطب النفسي خاصة..

وقد جاء اهتمامي بقضية تعريب الطب من واقع مشاركتي في جهود التعريب التي بدأت خطواتها فعلا تحت إشراف جامعة الدول العربية بإنشاء مركز لتعريب العلوم الطبية مهمته القيام بتعريب المراجع والكتب الطبية وإصدار سلاسل مؤلفة ومترجمة من الكتب الطبية باللغة العربية ثم تطورت أهدافه الى خطة لوضع مناهج طبية باللغة العربية يمكن استخدامها في تدريس الطب في الجامعات العربية لتحل محل الواقع الراهن الأن وهو استخدام اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية في بلاد المشرق العربي والفرنسية في بلاد المغرب العربي وهنا نتناول مسألة تعريب الطب في نطاق أكثر شمولا مع ربطها بمسألة الاصلاح التي تبدو وكأنها موضوع الساعة في بلادنا في الوقت الحالي...ورغم ان فكرة الإصلاح في حد ذاتها والدعوة اليها وتطبيق خطواتها كلها امور ايجابية إلا ان المسالة خصوصا بالنسبة لمن لا يفهمون كثيرا في امور السياسة هي أن يتم ممارسة خطوات ملموسة للإصلاح في المجالات المختلفة وعلى سبيل المثال يمكن تبسيط مسالة الإصلاح بأن يبدأ كل فرد في مكانه بإصلاح نفسه، وتبدأ كل مجموعة في موقع معين أو مهنة واحدة في إصلاح أمورها، أو يتم الإصلاح على مستوي كل قطاع صغير أو كبير في المجتمع.. وهنا سوف يتحقق هدف الإصلاح بصورة عملية بدلا من الحديث عن شئ غير ملموس واستخدام مصطلحات كبيرة وخالية من المعني.. والان دعنا من العموميات ولننصرف الى الحديث عن موضوع محدد هو تعريب

جاء اهتمامي بقضية تعريب الطب من واقع مشاركتي في جهود التعريب التي بدأت خطواتها فعلا تحت إشراف جامعة الدول العربية

نتناول مسألة تعريب الطب في نطاق أكثر شمولا مع ربطها بمسألة الاصلاح

حين كان العرب في عصر سيادتهم على العالم فقد كانت المؤلفات الطبية الرئيسية التي يتم من خلالها تعليم الطب في

الطب والذي نعتبر انه خطوة للإصلاح في مجال تصحيح مشكلة مزمنة ظلت لوقت طويل من هموم التعليم الطبي والممارسة الطبية في الدول العربية.

أنحاء العالم هي المراجع العربية

أما عن علاقة هذه المقدمة عن اللغة بموضوع تعريب الطب فأننا نلاحظ أن قدماء المصريين كما يذكر لنا التاريخ من خلال ما تركوه ليصل الينا من وثائق تم ترجمتها من البرديات التي تم العثور عليها قد استخدموا اللغة الهيروغليفية في الكتابة بصفة عامة والطبية على وجه الخصوص والدليل على ذلك مجموعة البرديات التي تتحدث عن أعراض وتشخيص وعلاج الأمراض ومنها على سبيل المثال بردية "أيبرس"، كذلك فقد استخدم الإغريق والرومان لغاتهم الأصلية في الكتابة الطبية ومن أمثلتها التراث الطبي الذي تركه أبو قراط 350ق.م. باللغة اليونانية، وحين كان العرب في عصر سيادتهم على العالم فقد كانت المؤلفات الطبية الرئيسية التي يتم من خلالها تعليم الطب في أنحاء العالم هي المراجع العربية من أمثلة كتاب القانون في الطب لابن سينا، وفى عصر النهضة في الغرب ظهرت المؤلفات والمراجع الطبية باللغات المحلية المختلفة في دول أوربا.

الكثير من المؤلفات والمراجع الطبية باللغة العربية كانت في وقت من الأوقات المصدر الأساسي للعلم والمعرفة

وعند إلقاء نظرة عامة علي جهود تعريب الطب في العالم العربي نجد أن هذه الجهود تسير بصورة بطيئة للغاية وغير مرضية وذلك بسبب المعارضة التي تسبب مقاومة التغيير ومن هنا كانت الفرصة الأن مواتية والكل يتحدث عن الإصلاح لإثارة هذا الموضوع من جديد حيث يعتبر كما سنعرض فيما بعد خطوة هامة بالنسبة للتعليم الطبي وممارسة مهنة الطب على حد سواء.

التعريب واستخدام اللغة العربية في الطب أمر له علاقة مباشرة بمسألة الهوية والشخصية القومية العربية.. فاللغة من مقومات الوجود والثقافة والسيادة

وحين نتناول الخصائص العامة للغة العربية وما لها من الجذور التاريخية والحضارية والانتشار الواسع مع الاستمرار وثبات القواعد والتركيبات على مر العصور وما تتميز به من المرونة والقدرة علي التعبير والتطور والتكيف. كما يظهر ذلك جلياً في الكتابات والتراث العربي من أدب وشعر ونثر بالإضافة الي أن هذه اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم كما أن الكثير من المؤلفات والمراجع الطبية باللغة العربية كانت في وقت من الأوقات المصدر الأساسي للعلم والمعرفة حين تم ترجمتها الى اللغات الغربية فكانت بداية للنهضة الطبية في أوربا كما يذكر التاريخ.

لا يعد موضوع تعريب الطب واستخدام اللغة العربية من الأمور الكمالية بل هو أمر بالغ الأهمية من خلال تأثير علاقة الأطباء بالمجتمع وممارسة مهنة الطب

وإذا كان لنا أن نتبنى النموذج الطبي في التفكير في حل المشكلات الذي تعتمد على مواجهة الحالات المرضية بأسلوب التشخيص لتحديد جوهر المشكلة ثم وضع خطة العلاج فأننا نعرض في هذا السياق النقاط التالية:

أ- التعريب واستخدام اللغة العربية في الطب أمر له علاقة مباشرة بمسألة الهوية والشخصية القومية العربية.. فاللغة من مقومات الوجود والثقافة والسيادة.

ب- لا يعد موضوع تعريب الطب واستخدام اللغة العربية من الأمور الكمالية بل هو أمر بالغ

إن استخدام اللغة العربية في التعليم الطبي وتدريس الطب سوف ينعكس إيجابيا على قضايا أخرى أوسع مثل التوعية الصحية وجهود الوقاية والعلاج ورفع المستوي الصحي

المعلومات الطبية التي يتم تدريسها باللغة الأجنبية تمر في المراحل الثلاث التالية:أولا استقبالها من جانب الطلاب ومحاولة فهمها ..وتأتي بعد ذلك مرحلة ترجمة الدارس للمعلومات وتحويلها داخل

الأهمية من خلال تأثير علاقة الأطباء بالمجتمع وممارسة مهنة الطب وإزالة حاجز الفصل والغموض بين الأطباء والمرضى وكذلك حل الازمة الحالية التى يعانيها الطب والأطباء حيث أن الوضع الحالي فيه إرهاق كبير في عملية التعليم الطبي وعرقلة تحول دون الفهم الجيد في دراسة الطب.

ج- إن استخدام اللغة العربية في التعليم الطبي وتدريس الطب سوف ينعكس إيجابيا على قضايا أخرى أوسع مثل التوعية الصحية وجهود الوقاية والعلاج ورفع المستوي الصحي للأنسان العربي حين يتم الأجابة على ما يدور لديه من تسأولات حول الأمور الصحية بوضوح.

د- ومن وجهه نظر محايدة فأن الواقع الرهان الذي يتمثل في وجود أزمة حقيقية في تعليم الطب في العالم العربي نتيجة للتخلي عن تعريب الطب، وتمثل هذه الأزمة في الجهد الضائع مع اللغة الأجنبية حيث تستغرق العملية التعليمية ثلاث مراحل بدلا من مرحلة واحدة، فالمعلومات الطبية التي يتم تدريسها باللغة الأجنبية تمر في المراحل الثلاث التالية:أولا استقبالها من جانب الطلاب ومحاولة فهمها ..وتأتي بعد ذلك مرحلة ترجمة الدارس للمعلومات وتحويلها داخل العقل الى اللغة العربية ..ثم في المرحلة الثالثة التي تتمثل في تحويل التفكير باللغة العربية الى حديث أو كتابة باللغة الأجنبية ويتسبب ذلك في أزمة كبيرة للطلاب مع انخفاض مستوي تعليم اللغات قبل الجامعي حيث لا يصل غالبيتهم على درجة إجادة اللغة الأجنبية، ويؤدي ذلك الى صعوبات حقيقية يواجهها طلاب الدراسات الطبية العليا في التعليم بعد الجامعي عند التخصص وكذلك من يقوم بالبحث العلمي حيث أنه ما يقرب من 60% من المراجع العلمية باللغة الإنجليزية وغيرها منشور بلغات أجنبية أخرى.

واستكمالا لتشخيص عناصر المشكلة نذكر هنا المعوقات التي تحول دون إتمام عملية التعريب وتتسبب في عدم المضي قدماً في إتمامها وهنا نذكر النقاط التالية:

- الأمور المتعلقة باللغة العربية مثل صعوبة النحو والصرف وزيادة اللهجات المحلية والعامية التي زحفت الى وسائل الإعلام في الوقت الذي تعاني فيه اللغة العربية من هجوم شرس من اللغات المنافسة القوية حيث نري تزايد استخدام اللغات الأجنبية في الحياة العامة والتفاخر بها.
- الوضع السياسي والجغرافي والثقافي الحالي في العالم العربي لا يساعد على التعريب، كما أن المتغيرات الجديدة التي طرأت على المنطقة العربية وحالة التشتت والتراجع العربي والهوان والاستسلام للقوى الأجنبية لا تبشر بخير فيما يتعلق بالتعريب.
- لا يوجد تنسيق بين الجهات التي تقوم على التعريب والجهود المبذولة حاليا فردية الى حد كبير ولا يوجد سوى بعض الجامعات ومركز تعريب العلوم الطبية التابع للجامعة العربية فيما أعلم ممن يتبنى بشكل منهجي ومنظم مسألة تعريب الطب ويتحمس لها.
- المعرضة للتعريب ومقاومته لا تزال قوية في بعض الأماكن مثل دول الخليج والتي فيها التعليم بالإنجليزية ودول الشمال الأفريقي التي تستخدم اللغة الفرنسية، وهناك أيضا الصومال وموريتانيا التي تدخل ضمن الدول العربية وتتحدث بلهجات غريبة غير العربية الفصحى، كما أن التدريس حاليا لا يستخدم فيه اللغات الأجنبية بصورة جيدة بل ما يطلق عليه "أنجلو أراب" أو

العقل الى اللغة العربية ..ثم في المرحلة الثالثة التي تتمثل في تحويل التفكير باللغة العربية الى حديث أو كتابة باللغة الأجنبية

استكمالا لتشخيص عناصر المشكلة نذكر هنا المعوقات التي تحول دون إتمام عملية التعريب وتتسبب في عدم المضي قدماً في إتمامها

الأمور المتعلقة باللغة العربية مثل صعوبة النحو والصرف وزيادة اللهجات المحلية والعامية التي زحفت الى وسائل الإعلام في الوقت الذي تعاني فيه اللغة العربية من هجوم شرس من اللغات المنافسة القوية

الوضع السياسي والجغرافي والثقافي الحالي في العالم العربي لا يساعد على التعريب، كما أن المتغيرات الجديدة التي طرأت على المنطقة العربية وحالة التشتت والتراجع العربي والهوان والاستسلام للقوى الأجنبية

لا يوجد تنسيق بين الجهات التي تقوم على التعريب والجهود المبذولة حاليا فردية الى حد كبير ولا يوجد سوى بعض الجامعات ومركز تعريب العلوم الطبية التابع للجامعة العربية

"فرانكو أراب" وهي لغة خليط.

- العامل البشرى في المجال الطبي لا يساعد حاليا على التعريب ..وبالإضافة الي معارضة التعريب من الأطباء الذين درسوا وتدربوا في الغرب.يظل العامل البشري الذي تتكون منه الهيئة الطبية حاليا ويضم الأطباء والتمريض والمهن الطبية المساعدة مشكلة هامة في طريق تعريب الطب واذا قمنا بتمثيل هذه الفئات في صورة هرم فأن الأطباء من مختلف التخصصات في قمة هذا الهرم وهم أقل عددا لكنهم لا يهتمون كثيرا بمسألة التعريب بينما القاعدة التي تضم أعدادا أكبر من المهن الأخرى كالتمريض والمهن الطبية المساعدة والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في حاجة ماسة أكثر الى التعريب .
- لا يخفى على أحد أن التعريب ستمتد أثاره الى المرضي وأقاربهم عند استخدام اللغة العربية للتفاهم والحوار كما يشمل ذلك طبيعة الخدمة في العيادات والمستشفيات وملفات المرضى وغير ذلك

أما خطوات الحل والمقترحات العملية بشأن تعريب الطب فأنها توضع بناءا على تشخيص عناصر المشكلة التي أشرنا اليها ويتم فيها اتباع خطوات عملية مدروسة بعد اتخاذ القرار التنفيذي عن اقتناع بضرورة استخدام اللغة العربية وهنا نضع الخطوات التالية:

- تجارب التعريب السابق يجب أ ن تؤخذ في الاعتبار لتجنب سلبياتها، ويجب الاتفاق على تبني نموذج موحد للتعريب وليكن تحت مظلة الجامعة العربية.. ومن السلبيات التي يجب تلافيها، التوصل الى حل لمشكلة المصطلحات الطبية والأنفاق على ترجمة موحدة واشتقاق الألفاظ العربية والالتزام بالتبسيط دون استخدام ألفاظ عربية معقدة
- الكتابة الطبية والتأليف باللغة العربية والترجمة يجب أن تسير بخطوات سريعة ومنتظمة مع الالتزام بتوفير مراجع وكتب طبية متخصصة في كل المجالات الطبية باللغة العربية واتباع اسلوب موحد في الترجمة يلتزم بها القائمون إلى عملية التعريب في كل البلاد العربية تحت إشراف موحد مع الاستفادة من التقدم التكنولوجي في مجالات الترجمة وإعداد قواعد بيانات تتلاءم مع العصر
- يجب أن يكون التنسيق كاملا بين جهود التعريب المتناثرة في البلاد العربية، وليتفق العرب على المبدأ هذه المرة دون أ ن تفرقهم السياسة كالعادة حتي يكتب النجاح لجهد عربي مشترك في مجال ما، وحتى يستتب أمر التعريب وتحرج الكتب والمعاجم والمراجع والوسائل التعليمية الطبية باللغة العربية الى الوجود ويتم استخدماها في تدريس الطب في العالم العربي
- هناك بعض الأمور التي يجب مراعاتها في مسالة التعريب وتتمثل في البدء فورا باستخدام اللغة العربية في التدريس الطبي في بعض المجالات مثل علم النفس والطب النفسي دون حاجة للانتظار لاكتمال المراجع وهنا يمكن وضع المصطلحات كما هي حتي تتوفر الترجمة الملائمة لها، والبدء بتنظيم دورات موسعة للتدريب على استخدام اللغة العربية في بعض التخصصات الطبية.

وبعد هذا العرض لجوانب مشكلة تعريب الطب.. فأن الحل أولا يتطلب الأيمان بأهمية

المعرضة للتعريب ومقاومته لا تزال قوية في بعض الأماكن مثل دول الخليج والتي فيها التعليم بالإنجليزية ودول الشمال الأفريقي التي تستخدم اللغة الفرنسية

العامل البشرى في المجال الطبي لا يساعد حاليا على التعريب ..وبالإضافة الي معارضة التعريب من الأطباء الذين درسوا وتدربوا في الغرب

أن التعريب ستمتد أثاره الى المرضي وأقاربهم عند استخدام اللغة العربية للتفاهم والحوار

تجارب التعريب السابق يجب أ ن تؤخذ في الاعتبار لتجنب سلبياتها، ويجب الاتفاق على تبني نموذج موحد للتعريب وليكن تحت مظلة الجامعة العربية

الكتابة الطبية والتأليف باللغة العربية والترجمة يجب أن تسير بخطوات سريعة ومنتظمة مع الالتزام بتوفير مراجع وكتب طبية متخصصة في كل المجالات الطبية باللغة العربية واتباع اسلوب موحد في الترجمة

هذه القضية وضرورة التغلب على الصعوبات أمام تحقيق هذا الإنجاز، والإرادة التي يتم بها المضي قدما في تنفيذ خطوات تعريب الطب، ونؤكد هنا أن الطب هو مهنة إنسانية قديمة كان تراثها على الدوام ملكا للعام أجمع منذ أن كانت مصادره في الحضارات القديم مثل مصر الفرعونية أو الصين أو لدي الإغريق والرومان، وعلى مر العصور لم تعرف هذه المهنة الحدود السياسية أو الجغرافية، أما التحدي اليوم فهو ما يواجهه العرب بسبب انفتاحهم على العالم... وليت الإصلاح يبدأ بنموذج تعريب الطب الذي تناولناه هنا ليكون خطوة أولي في طريق إصلاح مجالات أخرى كثيرة في المجتمع العربي على امتداده ويكون تأكيدا لهوية العرب القومية وكيانهم ومستقبلهم.

أن يكون التنسيق كاملا بين جهود التعريب المتناثرة في البلاد العربية، وليتفق العرب على المبدأ هذه المرة دون أ ن تفرقهم السياسة

وليكن التعريب في الحقل الطبي هو البداية لجهود الإصلاح التي ينادي بها الجميع حاليا.. وتشمل كل المجالات من سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية.. دعونا نبدأ من هنا ..نجيب على تساؤل: تعريب ام لا تعريب؟؟..واذا كانت الاجابة نعم نبدا العمل..ثم نكرر ذلك من مواقع أخرى متعددة في كل الاتجاهات فهذا هو الطريق الى الإصلاح الشامل الذي يحلم به الجميع.

الحل أولا يتطلب الأيمان بأهمية هذه القضية وضرورة التغلب على الصعوبات أمام تحقيق هذا الإنجاز

2014\12\13

*المؤلف من أعلام اللغة العربية في القرن العشرين , وهو خريج جامعة السربون 1948 , وله أكثر من خمسين كتاب في اللغة والنحو وحقق عددا من كتب التراث العربي وكتب الشعر.

*** ***

المجلـــــــة العربيـــــــة للعلـــــــوم النفسيـــــــة

مواضيع ملفـــــات الأعـــــداد القادمـــــة

Index APN eJournal

www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

العام 2015

العدد 45– ربيع 2015 "الطيف الوسواسي من الطبع الى المرض... رؤية من منظور ثقافي مغاير"

المشرف : أ. د. وائل ابو هندي – مصـــر

آخر أجل لقبول الأبحاث 28 – 02 – 2015

maganinposta@yahoo.com

*** ***

العدد 46– صيف 2015 : "اشكاليات الترجمة في العلوم النفسية" المشرف : الأستاذ الدكتور بوفولة بوخميس

آخر أجل لقبول الأبحاث 28-05-2015

boufoulab@yahoo.fr

*** ***

العدد 47– خريف2015"الجنوسةالمثلية... منالاسواءالىالاضطراب ""

المشرف : د. مأمونمبيض – قطر / سوريا

آخر أجل لقبول الأبحاث 30 – 11 – 2014

maganinposta@yahoo.com